# أسماء الله الحسنى

# أفي الله شك

## اللقاء الثاني

الحمدُ لله الذي نوَّرَ بجميل هدايته قلوبَ أهل السعادة، وطهَّرَ بكريم ولايتِهِ أفئدَةَ الصادقين فأسكن فيها وِدَادَهْ، ودعاهَا إلى ما سبَقَ لها من عنايتِهِ فأقبلت مُنْقَادَة، الحميدِ المجيدِ الموصوفِ بالجلالِ والجمالِ والتمجيد، نحمدُهُ على ما أَوْلَى من فضلٍ وأفادَهْ، ونشكُرُهُ معترفين بأَنَّ الشّكرَ منه نعمةٌ مُستفادَهْ.

قال ابن القيم رحمه الله: إن معرفة الله جل وعز بأسمائه وصفاته، سبب لزيادة الإيمان واليقين، وتحقيق للتوحيد، وتذوق لطعم العبودية ،وهذا هو روح الإيمان وأصله وغايته، وأقرب طريق إلى ذلك تدبر صفاته وأسمائه من القرآن، فإن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته وجمع قلبه على محبته، شرح صدره لقبول صفاته العلا، وتلقيها من مشكاة الوحي،فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول، وتلقَّاه بالرضا والتسليم، وأذعن له بالانقياد؛ فاستنار به قلبه، واتسع له صدره، وامتلأ به سروراً ومحبة، فاشتد بها فرحه، وعظم بها غناؤه، وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها؛ لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته جل وعز، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا، وشرفه أيضًا بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبته وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه، والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد، والله يُنْزِلُ العبد من نفسه حيث يُنْزِلُه العبدُ من نفسه.

### أفي الله شك؟

أفي الله شك كلمة قالَتْها سائر الرسل لأقوامهم، حينما جادلوهم في الله؛ قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [إبراهيم:10].

قال ابن كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا دَارَ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَبَيْنَ رُسُلِهِمْ مِنَ الْمُجَادَلَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ أُمَمَهُمْ لَمَّا وَاجَهُوهُمْ بِالشَّكِّ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَتِ الرُّسُلُ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾

وَهَذَا يَحْتَمِلُ شَيْئَيْنِ، أَحَدِهِمَا: أَفِي وُجُودِهِ شَكٌّ، فَإِنَّ الْفِطَرَ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِهِ، وَمَجْبُولَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ، فَإِنَّ الِاعْتِرَافَ بِهِ ضَرُورِيٌّ فِي الفطَرِ السَّلِيمَةِ، وَلَكِنْ قَدْ يَعْرِضُ لِبَعْضِهَا شَكٌّ وَاضْطِرَابٌ، فَتَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الدَّلِيلِ الْمُوَصِّلِ إِلَى وُجُودِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَتْ لَهُمُ الرُّسُلُ تُرْشِدُهُمْ إِلَى طَرِيقِ مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّهُ ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الَّذِي خَلَقَهَا وَابْتَدَعَهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، فَإِنَّ شَوَاهِدَ الْحُدُوثِ وَالْخَلْقِ وَالتَّسْخِيرِ ظَاهِرٌ عَلَيْهَا، فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ صَانِعٍ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَهُهُ وَمَلِيكُهُ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي فِي قَوْلِهِمْ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أَيْ: أَفِي إِلَهِيَّتِهِ وَتَفَرُّدِهِ بِوُجُوبِ الْعِبَادَةِ لَهُ شَكٌّ، وَهُوَ الْخَالِقُ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَإِنَّ غَالِبَ الْأُمَمِ كَانَتْ مُقِرَّةً بِالصَّانِعِ، وَلَكِنْ تَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنَ الْوَسَائِطِ الَّتِي يَظُنُّونَهَا تَنْفَعُهُمْ أَوْ تُقَرِّبُهُمْ مِنَ اللَّهِ زُلْفَى. (تفسير ابن كثير)

وأنتَ إلهَ الخلقِ ربي وخالقي بذلك ماعَمَّرتُ في الناس أشهد

تعاليت رب الناس عن قول من دعا سواك إلها أنت أعلى وأمجد

لك الخلق والنعماء والأمر كله فإياك نستهدي وإياك نعبد

## هل الله يحتاج إلى برهان؟

⇦وجود الله تعالى وتدبيره وحده لهذا الكون واستحقاقه وحده للعبادة لا يحتاج إلى دليل أصلًا، لكنها حُججٌ يُقيمها العلماء على الخلق، وقاعدة ينبني عليها ما بعدها، وفي نفس الوقت هذا مما يثبت الإيمان، ويُقوّي اليقين في قلوب المؤمنين.

المخلوقات الكثيرة والكائنات المتعددة وسَيْرُها في نظام دقيق عجيب مِن أعظم الأدلة على وجود الله وتدبيره لهذا الكون واستحقاقه وحده للعبادة، فالعقلُ البشري لا يتخيل أبدًا وجود صنعة بدون صانع، فهل توجد سيارة بلا مخترع، أو طائرة بدون مبتكر؟ فهذا العالم وهذه المخلوقاتُ مُحال أن تكونَ موجودةً بدون خالق، ولم يَدَّعِ أحد أبدًا على مَرِّ الزمان أنه خَلَق السماوات والأرض والإنس والجن وسائر الخلق!

قال الشيخ عبد الرحمن السحيم: في محاضرة بعنوان مِن دلائل التوحيد:

مِن دلائلُ توحيدِه في الأرضِ وفي السماءِ قال تعالى :(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (22) سورة البقرة

قال ابنُ كثير رحمه الله: وَهَذِهِ الآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ،....فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ السُّفْلِيَّةَ وَالْعُلْوِيَّةَ وَاخْتِلافَ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطِبَاعِهَا وَمَنَافِعِهَا وَوَضْعِهَا فِي مَوَاضِعِ النَّفْعِ بِهَا مُحْكَمَةٌ، عَلِمَ قُدْرَةَ خَالِقِهَا وَحِكْمَتَهُ وَعِلْمَهُ وَإِتْقَانَهُ وَعَظِيمَ سُلْطَانِهِ.

(أَفِي اللهِ شَكٌّ سُبحانَه.. أفي اللهِ شَك...؟!؛ إذا انطلقت السفينة بعيداً في البحر اللجيّ، وهبّت الزوابع، وتسابقت الرياح وتلبدّ الفضاء بالسحب، واكفهر وجه السماء، وأبرق البرق، وأرعد الرعد وكانت ظلمات بعضها فوق بعض، ولعبت الأمواج بالسفينة، وبلغت القلوب الحناجر، وأشرفت على الغرق، وتربص الموت بالركّاب؛ اتجهت الأفئدة وجأرت الأصوات: يا اللهُ يا الله..؛ فجاء عطفُهْ، وترادَفَ مَدَدُه، وتنزلت رحمته، وعظمت منّته، وأشرق ضياؤه في الظلام الحالك، فأزال المخاوفَ والمهالك، أفي اللهِ شَك...؟!).

مِن دلائلُ توحيدِه في دَمِكَ وفي نَبْضِ قَلبِك، قلبُك ينبُضُ في اليوم: مائةَ ألفِ نَبْضَةٍ ...وفي جِسْمِك مَصانِعٌ: مصنَعٌ لِكُريّات الدم الحمراء، وآخَرُ لِكريّات الدم البيضاء، وثالثٌ لإنتاج الخلايا، ورابعٌ لإنتاج اللّعَاب، وخامِسٌ لتنقيةِ الدم، وهكذا في سِلسلة تَطول ... (وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (21) الذاريات

مِن دلائلُ توحيدِه في خَلْقِ الجَنين، الله خَلَقَ مِن النطفةِ عَينًا مُبْصِرَة، وأُذنا واعِية، وأطباءُ الأرضِ صَنَعوا آلةً يُستَعانُ بها على إيصالِ الصوتِ وتَوضيحِ الصورة، ولكنهم مهما بَلَغوا مِن العِلمِ فلن يَستطيعوا أن يَخلُقُوا خَلِيّةً واحِدَة! قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) الحج

(إذا اعترض الجنينُ في بطن أمه، وعسرت ولادته، وصعبت وِفَادته، وأوشكت الأم على الهلاك، وأيقنت بالممات، لجأت إلى منقّس الكربات، وقاضي الحاجات، ونادت: يا اللهُ يا الله، فسُمِعَ حنينُها، وزال أنينها، وخَرَج بإذنِ اللهِ جَنِينُهَا.. أفِي اللهِ شَك...؟!).

من دلائلُ توحيدِه في الموت والحياة:

قال قُسّ بنُ ساعدةَ:

فِي الذَّاهِبِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَسْعَى الأَصَاغِرُ وَالأَكَابِرْ
أَيْقَنْتُ أَنِّي لا مَحَالَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرْ

من دلائلُ توحيدِه في النّملةِ، النملةُ تَجمَعُ الحبَّ وتُخَزّنُه، وتكسِرُه لئلا ينبُت، فَمَن ألْهَمَها؟

قال ابن القيم: وَمِن عَجِيبِ أمْرِ الفِطْنَةِ فِيهَا: إذا نَقَلَتِ الْحَبَّ إلى مَسَاكِنِها كَسرتْه لِئَلاّ يَنْبُتَ فَإن كَانَ مِمَّا يَنْبُتُ الفِلْقَتان مِنْهُ كَسَرَتْهُ أربعا، فإذا أصابَه نَدًى أو بَلَلٌ وخَافَتْ عَليه الْفسادَ أخْرَجَتْه للشمسِ ثمَّ تَردُّه إلى بيوتِها وَمن فِطنتِها أنّها لا تَتَّخِذُ قَرْيَتَها إلاّ على نَشْزٍ مِن الأرض لئلاّ يَفِيضَ عَلَيْهَا السَّيْلُ فيُغْرِقَها. اهـ.

من دلائلُ توحيدِه في النحلةُ تأكلُ مِن الشجرِ وتصنَعُ العَسَلَ، فمَن وَهَبَها مَصنَعَ العَسَل؟ (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) النحل

من دلائلُ توحيدِه في الشاةِ والبقرةِ (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (66) النحل

بل سائلِ اللبَنِ الْمُصَفّى كان بَيْنَ *** دمٍ وفَرْثٍ: مَن الذي صَفّاك؟؟

قال ابن القيم: تَأمل الْعِبْرَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ عزّ وَجَلّ فِي الأنعام وَمَا سَقَانَا مِن بُطونِها مِن اللَّبنِ الْخَالِصِ السائغِ الْهَنِيءِ الْمَرِيءِ الْخَارِجِ من بَينِ الفَرْثِ وَالدَّم ...

من دلائلُ توحيدِه في الدجاجةِ والبَيضَةِ (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (19) الروم

وإذا رأيتَ الحيَّ يَخْرُجُ مِن *** حَنَايا ميّتٍ فاسألْه: مَن أحياك؟؟

وعن الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ أنه سئل عن ذلك، فقال: هاهنا حِصنٌ حَصِينٌ أملَس، ليس له بابٌ ولا مَنفَذ، ظاهِرُه كالفِضّةِ البيضاءِ، وباطِنُه كالذّهبِ الإبريزِ، فبينا هو كذلك إذ انْصدَعَ جِدَارُه، فخرَجَ منه حَيوانٌ سميعٌ بَصير، ذو شَكْلٍ حَسنٍ وصوتٍ مَليح. يعني بذلك البَيضَةَ إذا خَرَجتْ منها الدجاجةُ.

من دلائل توحيده: في الهواءِ، الذي هو ألْطَفُ شيءٍ وأرقُّه، تَسْتَنْشِقُه ولا تُحسُّه: إن زَادتْ سُرْعَتُه صار ريحا عاتية، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا.

من دلائلُ توحيدِه في طُلوعِ النورِ الذي أخفَى أضْواءَ القَناديلِ! طَلَعَ الصباحُ فأطفِئوا القِنديلا

الله نُورُ السماوات والأرض، عَمّ نُورُه الوجودَ، فأغنى نُورُه عن كُلّ نُور، لو اجتمع أهلُ الأرضِ وأرادوا إضاءةَ الكَوْنِ كَمَا يُضيءُ طُلوعُ النورِ صباحا؛ لَمَا استطاعوا! تَفرّدَ الله بالقُدرةِ والقوّةِ سبحانه وبحمدِه.

مِن دلائلُ توحيدِه في الصناعاتِ: اللهُ خالِقُ كلِّ صَانِعٍ وما صَنَعَ، استغنى الله عن مُعينٍ أو مُشِيرٍ، بينما لا تجِد صَنْعةً إلاّ وقد اشتركَ فيها عددٌ مِن الناس، وكلّما كبُرَ المصنوعُ زاد عددُ العاملينَ والمشارِكين، تأمّلْ في المصنوعاتِ الكبيرةِ، كالطائراتِ والسياراتِ: تَجِدْ فيها أجزاءَ مِن بُلدانٍ شَتّى! لكنَّ اللهَ وحدَه جلّ جلاله تَفرّدَ بالْخَلْقِ والإيجادِ وإبداعِ الصُّنْعِ. قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ). رواه البخاري

فَسَلِ الْمُعَطِّلَ الجاحد: من الذي دَبّرَ هَذا التَّدْبِيرَ وَقَدّرَ هَذا التَّقْدِيرَ، وأتْقَنَ هَذا الصُّنْعَ، ولَطَفَ هَذا اللطْفَ سِوَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ.

قال ابن القيم: الليل والنهار والعُلوّ والسّفْل، والطيبِ والخبيث، والخفيفِ والثقيل، والحلوِ والمرّ، والبردِ والألم واللذة، والحياةِ والموت، والداءِ والدواء، فَخَلْقُ هذه الْمُتَقابِلاتِ هو مَحلُّ ظُهورِ الحكمةِ الباهِرةِ، ومَحَلُّ ظهورِ القُدرةِ القاهرةِ، والمشيئةِ النافِذةِ، والمُلكِ الكاملِ التامّ. اهـ.

سُئِل أحدُ العلماء: لماذا لا يُقال: إن هذا العالَمَ وُجد صدفة؟ وكان أمام العالِمِ سَبُّورة عليها كتابات، فقال: انظُرْ إلى هذه السَّبُّورة التي أمامك، لو قال إنسان: إنَّ هذه الأسطُر لم يكتبها كاتب، وإنما حدثتْ صدفة بأن حملت الرياح ذرَّات التراب، ودخلتْ بها مِن نوافذ الغرفة، وأسقطتها على السَّبُّورة، فظَهَرَتْ بشكل كلام مفهوم، مكوّنًا هذه الأسطر! أيمكن لعاقل أن يُصدِّقَ هذا القول؟ قال السائل: لا، فقال العالم: فكيف لعاقلٍ أن يُصدِّق أن هذا الكون العظيم خُلِقَ بلا خالق؟! قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35] حين سمع هذه الآية جُبير بن مُطعِم من النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ بها في صلاة المغرب قال: "كاد قلبي أن يطير"[متفق عليه]، وكان إذ ذاك مشركًا لأنه فَهِم قوةَ الحجة.

التقى زنديق يومًا بالشافعي، فقال له: ما الدليل على وجود الله؟ فقال الشافعيُّ: ورقة التوت، قال الزنديق: كيف ذلك؟ قال الشافعيُّ: أليس لونها واحدًا وريحها واحدًا؟ قال الزنديق: بلى، فقال الشافعي: تأكلها دودة القز فتخرج حريرًا ناعمًا، وتأكلها النحلة فتخرج عسلًا صافيًا، وتأكلها الظباء فتُخرج مِسكًا طيّبًا، وتأكلها الحيوانات فتُخرج بَعْرًا منتنًا [معرفة الله: سيد عطوة]، مَن الذي أوجد هذه المصانع في تلك الحيوانات؟! فبُهتَ الذي كفر.

أبيات لأبي نواس في وصف النرجس واتخاذه دليلًا على التوحيد:

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ

عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ

عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

والمعنى أن النرجس بأوراقه البيض المستديرة وما في وسطه من الكرات الذهبية يشبه عيوناً من ذهب محيط بها إطار من فضة، على قوائم خضر مثل الزبرجد.

قيل لأعرابيّ: بِم عرفتَ ربك؟ فقال: البَعَرَةُ تَدُلُّ على البعير، وأثرُ السيرِ يَدُلُّ على المسير، فَسماءٌ ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذاتُ فِجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟ [معارج القبول: حافظ حكمي].

ومِن أعظم ما ردَّ به موسى عليه السلام على ثَوُّر فرعون وعجرفته لَمَّا سأله:﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:49 – 50]، فبُهِتَ الفاجر العنيد، وهذا جوابٌ سديد، ولم يَدَّع أحد مِن البشر مهما بلغ عُتُوُّه أنه شارك الله في الخَلْق والهداية.

للهِ في الآفاقِ آياتٌ لعلَ ... أقلَّها هو ما إليه هَدَاكا
ولعلَّ ما في النفسِ مِن آياتِه ... عَجَبٌ عُجابٌ لو ترى عَيْناكَا
والكونُ مَشْحونٌ بأسرارٍ إذا ... حاولتَ تفسيرًا لها أَعْيَاكَا
قُلْ للطبيبِ تَخَطَّفَتْهُ يدُ الرَّدَى ... مَن يا طبيبُ بطِبِّه أرْدَاكَا
قُل للمريضِ نَجَا وعُوفِي بعدَما ... عَجَزَتْ فُنونُ الطبِّ مَن عافاكا
قُل للصحيحِ يَمُوتُ لا مِن عِلَّةٍ ... مَن بالمنايا يا صحيحُ دَهَاكَا
قُلْ للبصيرِ وكان يَحْذَرُ حُفرةً ... فهَوَى بها مَن ذا الَّذِي أَهْوَاكَا
قُل للجنينِ يَعيشُ مَعْزولًا بلا ... راعٍ ومَرْعى مَا الذي يَرْعَاكَا
قُل للوليدِ بَكَى وأجْهَش بالبُكا ... عند الولادةِ مَا الذي أَبْكَاكَا
وإذا تَرى الثعبانَ يَنْفُث سُمَّه ... فاسْأَلْهُ مَن ذا بالسُّموم حَشَاكَا؟
واسْأَلْهُ كيف تَعيشُ يا ثعبانُ أو ... تَحْيَا وهذا السُّمُّ يَمْلأُ فَاكَا
واسْأَلْ بُطونَ النَّحْلِ كيفَ تَقَاطَرَتْ ... شَهدًا وقُل للشَّهْد مَن حَلَّاكَا
بل سائلِ اللَّبَنَ المُصَفَّى كان بَيْن ... دَمٍ وفَرْثٍ مَا الذي صَفَّاكَا
قُلْ للهَواءِ تُحسُّه الأيدي ويَخْفَى ... عن عيون الناس من أَخْفَاكَا
سيُجِيبُ ما في الكونِ مِن آياتِه ... عَجَبٌ عُجابٌ لو تَرَى عَيناكَ
يا أيُّها الإنسانُ مَهْلًا ما الَّذِي ... بالله جَلَّ جلالُه أَغْرَاكَا

خَلْقُ الله وبديعُ صُنعه من أعظم الأدلة على وجوده وإلهيته وإفراده بالعبادة.

وجود كلام الله تعالى بين أيدينا نقرؤه ونتدبَّره ونفهمه مِن أعظم الأدلة على وجود المتكلم وتعظيمه وإفراده بالعبادة؛ لأنه يستحيل كلامٌ بلا متكلِّم، وقولٌ بلا قائل، وقد عجز الخَلْقُ جميعًا أن يأتوا بمثله أو بعَشْر سورٍ مِن مثله، أو حتى سورة واحدة مِن مثله، ولا زال التحدِّي والإعجاز قائمًا، وقد كان العربُ وهم أفصح الأمم ومع شدة عداوتهم للإسلام، فإنهم عجزوا عن ذلك، وعَجْزُ غيرِهم أولى وأولى؛ ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 23]، وأنَّى لمخلوقٍ أن يأتيَ بِمِثْل كلام الخالق سبحانه؟!

وقد نَظَر العلماء فَوَجَدوا أن هذا القرآن مُعجِزٌ مِن جميع الوجوه! معجز في لفظه ونظمه ومعناه؛ بل أثبت القرآن الكريم أشياءَ لَم يعْرِفْها البشر إلا في العصر الحديث، وستظل كنوزُ القرآن ذاخرةً تُعجز البشر في كل عصر ومصر، خُذْ أمثلة قليلة على ذلك:

أثبت العلم الحديث أنك كلما ارتفعتَ إلى السماء قلَّ الأكسجين، ووجدتَ الاختناق وضيق التنفس، وهذا مذكورٌ في قول ربنا: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: 125]، وهذا قبل أن يُخلَق مَن اكتشف هذه النظرية، وقبل أن يخلق أجداده وأجداد أجداده!

أثبت العلمُ الحديث أنَّ بين كل بَحرينِ حاجزًا مائيًّا يَفْصِل ماء كل بحر عن الآخر، وهذا الحاجز المائيُّ تختلف كثافتُه عن ماء البحرين، وهذا مذكورٌ في قول ربنا: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 19 – 20]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: 61].

أثبت العلمُ الحديث أن مراكز الإحساس في الجسم هي الجلد فقط، وأنه متى احتُرق الجلد قَلَّ الإحساس جدًّا أو انعدم، وهذا مذكور في قول ربنا عن تبديل جلود الكافرين والفاسقين في النار حتى يستمرَّ الألم والعذاب؛ قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56].

قال الطبيعيون: كانت البشرية جميعًا حتى القرن التاسع يظنون أن النملَ حشرة لا تنطق، وأنها تتعامل مع أخواتها مِن النمل بالإشارة أو الإيحاء، لكن بعد ظُهور أجهزة التسجيل فوق السمعيَّة التي تُسجِّل الأصوات التي لا تسمعها الأذن تَبَيَّنَ لنا أن النمل يَنطِق ويتكلَّم ويُناقش ويُجادل ويقف ويفكِّر! نقول لهم: هذا اكتشاف عجيبٌ رائع، لكن الأعجب والأروع أن القرآن قد أخبر بذلك؛ قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 17 – 18]، فهل كان عند محمد صلى الله عليه وسلم أجهزة فوق السمعية ليعرفَ بها أن النمل يتكلم؟![معرفة الله: سيد عطوة، بتصرف يسير].

وكلام الله تعالى مع كونه دليلًا واضحًا على وجوده واستحقاقه للعبودية، فإنه مع ذلك طريقٌ واضحٌ نصل به إلى الله، ومعرفته معرفة حقيقية؛

قال ابن القيم رحمه الله: "مِن الناس مَن يعرف الله بالجود والإفضال والإحسان، ومنهم مَن يعرفه بالعفو والحلم والتجاوز، ومنهم مَن يعرفه بالبطش والانتقام، ومنهم مَن يَعرِفه بالعلم والحكمة، ومنهم مَن يَعرفه بالعز والكبرياء، ومنهم مَن يَعرِفه بالرحمة والبر واللطف، ومنهم مَن يَعرِفه بالقهر والملك، ومنهم مَن يَعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته وقضاء حاجته، وأعلم هؤلاء معرفة مَن عرفه مِن كلامه، فإنه يعرف ربًّا قد اجتمعتْ له صفات الكمال ونُعوت الجلال، ونُزِّه عن المثال، وبرئ مِن النقائص والعيوب، له كل اسم حَسَن، وكل وصف كمال، فَعَّال لِمَا يريد، فوق كل شيء، ومع كل شيء، وقادر على كل شيء، أرحم الراحمين، وأقدر القادرين، وأحكم الحاكمين"[الفوائد].

✉فالقرآنُ كله حديثُ الله جل جلاله يُخاطب به الله الرجلَ والمرأة، والصبيَّ والطفل، وعالِمَ الذرَّة، ورائد الفضاء، وساكن الغابة، وساكن الصحراء، ورجل القرية، ورجل المدينة، وكلٌّ يأخذ منه ما يعرِّفه بالله عزَّ وجلَّ، فما أعظمَ أن نَتَعَرَّف على الله مِن خلال كلامه الذي يُخاطب أعماق الفطرة بالقصة والمَثَل، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والآية والعِبْرة.

📝ومِن أعظم الأدلة على وجود الله تعالى وتدبيره وحده لهذا الكون واستحقاقه وحده للعبادة "الفطرة":

⇦ومعنى الفطرة: أن الله تعالى حين خَلَقَك خَلَقَك مهيَّئًا لقبول الحق، مستعدًّا للعمل به، فلو خُلِّي بينك وبين الحق، والله ما توجهتَ إلا إليه! لو لم تطرأْ عليك الطوارئ وتَصرِفك الصوارف، ما عرفتَ إلا الحق، وما قلتَ إلا الحق، وما علِمتَ إلا الحق، ولهذا شُبِّهت الفِطرة باللبن، فكما أن الولد إذا وُلد يتوجَّه إلى ثدي أمِّه، كذلك الإنسان إذا تُرك ولم يُوجَّه إلى الشر والباطل تَوَجَّه تلقائيًّا إلى الخير والحق، هذه هي الفطرة.

⇦فالفطرةُ التي فطر الله الناس عليها هي التوحيد، هي الإيمان، هي معرفة الله جل جلاله؛ قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

وقال صلى الله عليه وسلم: (كلُّ مولودٍ يُولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسانه) [متفق عليه]، ولم يقلْ: يُسْلِمانه لأنَّ الإسلام فطرته!

وقال صلى الله عليه وسلم:( قال الله تعالى: إني خلقتُ عبادي حُنفاء كلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجْتَالَتْهم عن دينهم، وَحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأَمَرَتْهم أن يُشركوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سلطانًا) رواه مسلم

📝هذه هي الفطرةُ النقيَّة: توحيد رب البرية والاعتراف له بالعبودية.

⇦ومعنى" حُنفاء ": قيل: مسلمين، وقيل: مستقيمين مُنيبين لقبول الهداية، وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد في الذرِّ وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: 172] [شرح النووي لصحيح مسلم].

✉ولما كان يوم فتح مكة هرب عكرمة بن أبي جهل، فركب البحر فأصابهم عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا، فإنَّ آلهتكم لا تُغني عنكم هنا شيئًا، فقال عكرمة: والله لئن لم يُنَجِّني في البحر إلا الإخلاص فلا يُنجيني في البر غيره! اللهم لك عليَّ عهد إن عافيتَني مما أنا فيه أنْ آتيَ محمدًا حتى أضَعَ يدي في يده، فلا أجدنَّه إلا عفوًّا كريمًا، فجاء فأسلم"[رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني]، فالإلحادُ اعوجاجٌ في الفطرة، وتَسْفيهٌ للعقول، وتعالٍ على الحق.

📜قال ابن القيم: فَسُبْحَانَ مَنْ بَهَرَتْ حِكْمَتُهُ الْعُقُولَ وَالأَلْبَابَ، وَشَهِدَتْ فِطَرُ عِبَادِهِ وَعُقُولُهُمْ بِأَنَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.

📝ومِن طرائف أجوبة الفطرة ما ذُكر مِن أنَّ معلِّمًا وقف يقول لطلابه في الصف السادس الابتدائي: هل ترونني؟ قالوا: نعم، قال إذًا أنا موجود، قال: هل تَرَوْنَ السَّبُّورة؟ قالوا: نعم، قال: إذًا السبُّورة مَوجودة، قال: هل ترون هذه المنضدة [المقعد]؟ قالوا: نعم، قال: إذًا المنضدة موجودة، فقال: هل ترون الله؟ قالوا: لا، قال: إذًا الله غير موجود، فقام طالب ذكيٌّ، وقال: أَتَرَوْنَ عقلَ الأستاذ؟ قالوا: لا، قال: إذًا عَقْلُ الأستاذ غير موجود! فبُهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين". فالذي نطق إنما هو: الفطرة [المنهاج الأسنى: د/ زين شحاتة، معرفة الله: سيد عطوة].

✉فوُجود الله جل جلاله واستحقاقه وَحْدَهُ للعبادة وتدبيره وحده لهذا الكون – أظهرُ مِن كل حقيقةٍ، وأَبْيَنُ مِن كل برهان، وأوضح مِن كل دليل، قال ابن القيم عليه رحمه الله: "وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: كيف يُطلب الدليل على مَن هو دليل على كل شيء، وكان كثيرًا ما يتمثل هذا البيت: [مدارج السالكين]

وليس يَصِحُّ في الأذهانِ شيءٌ إذا احْتاجَ النَّهارُ إلى دليل

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ؟

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

📃قال ابن القيم : اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الدَّالُّ عَلَى نَفْسِهِ بِآيَاتِهِ ، فَهُوَ الدَّلِيلُ لِعِبَادِهِ فِي الْحَقِيقَةِ بِمَا نَصَبَهُ لَهُمْ مِنَ الدَّلالاتِ وَالآيَاتِ ، وَقَدْ أَوْدَعَ فِي الْفِطَرِ الَّتِي لَمْ تَتَنَجَّسْ بِالتَّعْطِيلِ وَالْجُحُودِ : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْكَامِلُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِكُلِّ كَمَالٍ ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ ، فَالْكَمَالُ كُلُّهُ ، وَالْجَمَالُ وَالْجَلالُ وَالْبَهَاءُ ، وَالْعِزَّةُ وَالْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ : كُلُّهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ ، يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَالْحَيَاةُ كُلُّهَا لَهُ ، وَالْعِلْمُ كُلُّهُ لَهُ ، وَالْقُدْرَةُ كُلُّهَا لَهُ ، وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالإِرَادَةُ ، وَالْمَشِيئَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالْغِنَى ، وَالْجُودُ وَالإِحْسَانُ وَالْبِرُّ ، كُلُّهُ خَاصٌّ لَهُ قَائِمٌ بِهِ ، وَمَا خَفِيَ عَلَى الْخَلْقِ مِنْ كَمَالِهِ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ مِمَّا عَرَفُوهُ مِنْهُ ، بَلْ لا نِسْبَةَ لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفُوهُ . (مدارج السالكين)

✉حق الله كيف نعبد الله بهذا الاسم العظيم(الله)؟

1– ندعوه به سبحانه وتعالى:

سبَق أن ذكرنا أن اسم الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم الذي إذا سُئِل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب، شريطةَ أن يأتيَ الداعي بشروط إجابة الدعاء مِن أكل الحلال، وتَرْك الاستعجال، وحضور القلب، ومتابَعة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: 14]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110].

✉وأكثرُ ما يُدعى الله عز وجل بلفظ: "اللهم"، فيقول الداعي: يا الله اغفر لي، أو اللهم اغفِرْ لي، يا الله ارزقني أو اللهم ارزقني، أجمع المفسرون وعلماء اللّغة على أن اللَّهمَّ أصلها ومعناها (يا الله)، فحذفت منها ياء النداء وعوّض عن ياء النداء بالميم في الدعاء بما يشعر بقرب المنادَى سبحانه، (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...)186سورة البقرة. وهكذا تسأل حاجتك، فلا يسمع الدعاء غيره، ولا يجيب المضطر سواه، ولا يكشف الضر إلا إياه؟!

⇦واعلمْ أنه من الكبائر المُهْلِكة؛ بل من الشرك بالله، أن يَتَوَجَّه العبد إلى الأموات والمقبورين، ممن يُسَمّيهم الناس أولياء الله، يَطْلُب منهم الحاجات، ويَسألُهم تفريج الكرُبات! قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[الأحقاف: 5–6]،وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[فاطر: 13 – 14].

2- تعظيم الاسم:

بأنْ يُقدَّس ويُوقر، ولا يُعرَّض للإهانة أو الانتهاك، فيحكي بعضُهم أنه دَخَل إحدى الدوائر الحكومية فوَجَد في كلِّ مكتبٍ سلَّةً ورقية مكتوبًا عليها (خاص باسم الجلالة) تُوضَع فيها الأوراق المحتوية على أسماء الله كأوراق المصاحف وغيرها، ثم تُجمع وتُحرق بطريقة لائقة.

ولذلك أفتى كثيرٌ مِن العلماء بأنه لا يَجوز استعمال الجرائد سفرة للأكل عليها، ولا جعلها ملفًّا للحوائج؛ لأنها غالبًا لا تخلو مِن اسم الله بصورة مباشرة أو غير مباشرة؛ كالأسماء المشهورة عبد الحميد، عبد الرزاق، عبد العزيز، ونحوها. فاللهم اجعلنا ممن يُعظِّمك حق التعظيم.

3- أن نُقدِّر الله حق قدره:

حَقُّ قَدْرِه: أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُحب حبًّا يملك على العبد كل حركة فيه.

حقُّ قَدْرِه: أن يُفوَّضَ الأمر إليه ويُتوكل عليه، ويُرضى بحُكمه، ويستسلم لقضائه ويُنقاد لأوامره.

حقُّ قَدْرِه: أن يُقصد بالسعي، ويُخلَص له العمل.

حَقُّ قَدْره: أن يُرضى به وليًّا وربًّا وإلهًا وحاكمًا وكفيلًا ووكيلًا وحسيبًا وشهيدًا، كيف لا، وصفاته جليلة، وأسماؤه جميلة، ومنه كل نعمة كثيرة أو قليلة؟!

4- أن تعطيه حقَّه مِن الذِّكْر:

فبعدما عرَف العبد الله جل جلاله أن يُعطيه حقَّه مِن الذكر، وحقه مِن الذكر ما أمرنا الله به حين قال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب: 41 – 42]، وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: 45]، وقال تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الحزاب:35]، فالذِّكْرُ حياةُ القلوب وغذاء النفوس.

قال صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ)) [صحيح البخاري].

فالحياةُ الحقيقية حياة القلوب بذِكْر علام الغيوب، والموت الحقيقي موت القلوب بالغفلة عن علام الغيوب؛ ذلك لأنَّ الإنسانَ مُكَوَّن مِن جسدٍ وروحٍ، فالجسدُ مَبْدَؤُه من الأرض، فغذاؤه من الأرض، طعام وشراب وسكن ونحوه، أما الروحُ فمبدؤها مِن السماء، فغذاؤها إذًا من السماء، ذكر الله وطاعته ومحبته ومعرفته؛ قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: 28].

فبِذِكْر الله تَطيب النفس، ويطمئنُّ القلب، ويهدأ البال، وبذكر الله تُدفع الآفات وتكشف الكربات وتَهون المصيبات، لا يوجد عمل أشرح للصدور وأعظم في الأجور كالذِّكْر، هو إنقاذٌ للنفس مِن أتعابها واضطرابها وهمومها وغمومها، هو طريقٌ مختصرٌ لكل فوز ونجاح، فيا مَن شكا الأرق وبكى مِن الألم، يا من أتعبَتْه المشاكل وأعجَزَتْه الوسائل بقَدْر إكثارك مِن ذِكره يهدأ قلبك، وتسعد نفسك، ويرتاح ضميرك.

إذا مَرِضْنا تَداوَيْنا بذِكْرِكُمُ *** ونترك الذِّكْرَ أحيانًا فنَنْتَكِسُ

قال الله تعالى في الحديث القدسي: " أنا مع عبدِي ما ذكَرني وتحرَّكَتْ بي شَفَتاهُ "[صحيح ابن حبان].

ما أجملَ أن يكونَ الله معك يُغني فقرك، ويَجبُر كسرك، ويرفع قدرك، فمَن كان الله معه فماذا فقَد؟ ومَن فَقَد الله فماذا وَجَد؟ قال صلى الله عليه وسلم: ((ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكْرُ اللَّهِ)) [صحيح الترمذي].

قالَ معاذُ بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ.

قال ميمون بن مِهرانَ: الذكر ذِكران: ذكر الله باللسان حسن، وأفضل مِن ذلك أن يذكرَ الله العبدُ عند المعصية فيمسك عنها. [الورع لابن أبي الدنيا].

5- أن نُفرِدَه تعالى بالعبادة:

إنَّ قاعدة الإسلام الأساسية هي التوحيد القائم على إفراد الله تعالى بالعبودية، أو صَرْف جميع العبادات لله تعالى وحده والإخلاص له فيها، وهذه هي الغايةُ التي خَلَق الله الخَلْق مِن أجلها؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36].

فحاجةُ المسلم إلى عبادة الله وإخلاصها له أعظم مِن حاجته إلى الطعام والشراب والنفَس، بل وإلى الروح التي بين جنبيه؛ لأنَّ العبد إنما خُلِق لذلك لا غيرُ، فلا تطمئنُّ النفس في الدنيا إلا بذِكْر الله، ولا تصلح وتهدأ إلا بعبادته ومحبته ورضاه، ومع ذلك رضي أكثرُ الناس بالدنيا واطمأنُّوا بها، وركنوا إليها، وصرفوا العبادة لغير الله،

فرأينا مَن يدعو الأموات، ويَطْلُب منهم قضاء الحاجات، وكَشْف الكُربات، ورأينا مَن يستغيث بغير الله، وينذر لغير الله، ويذبح لغير الله، ويحلف بغير الله، وقد قال صلى الله عليه وسلم:((من حلفَ بغيرِ اللهِ فقد كفرَ أو أشركَ))[صحيح الترميذي]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((لَعَنَ الله مَن ذَبَح لغير الله))[ رواه مسلم]، ورأينا مَن يذهب إلى الكهنة والعرافين، ويُصدِّقهم فيما يكذبون ويفسدون، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((مَن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول؛ فقد كَفَر بما أُنْزِلَ على محمدٍ))[ رواه الترمذي وصححه الألباني].

ورأينا مَن يُعلِّق التمائمَ، ويضع الحجُب في الملابس والفرش وغيرها، وقد قال صلى الله عليه وسلم:((مَن عَلق تميمةً فقد أشرك))[رواه أحمد وصححه الألباني في صحيحه]، والتميمةُ ما يعلق في عنق الولد، أو في عنق البهيمة، أو على أبواب البيوت أو في السيارات ونحوها؛ يُتقى بها العين، أو يُعتقد أنها تدفع الضر أو تجلب النفع، ورأينا مَن يتبرك بقبور الصالحين، ويَتَمَسَّح بجدران الكعبة، وأعتاب المساجد، ويتعلق ببعض الأحجار والأشجار، وقد أُمِر ألا يتعلق إلا بالله، ولا يركن إلا إلى الله.

قال ابن القيم: "إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنِ أنت بالله، وإذا فرح الناس بالدنيا فافرحْ أنت بالله، وإذا أنس الناسُ بأحبائهم فأْنس أنت بالله، وإذا ذَهَب الناس إلى ملوكهم وكُبَرائهم يسألونهم الرزق ويَتَوَدَّدون إليهم، فتَوَدَّدْ أنت إلى الله..."[ الفوائد]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ،وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ،واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ))[ صحيح الترمذي].

نَصَب الله جلّ جلاله دلائلَ توحيدِه في كُلِّ مَخلُوق، فدلائلُ توحيدِ الله تبارك وتعالى فِيكَ وفي كُلِّ ما حَوْلِك،

هَذِي العَوَالِمُ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ ... كُلٌّ يَقُولُ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ اللهُ

بَحْرُ الوُجُودِ وَفُلْكُ الكَوْنِ جَارِيَةٌ ... وَبِاسْمِكَ اللهُ مُجْرَاهُ وَمُرْسَاهُ

مِنْ نُورِ وَجْهِكَ ضَاءَ الكَوْنُ أَجْمَعُهُ ... حَتّى شِيدَ بِالأَفْلَاكِ مَبْنَاهُ

عَرْشٌ وَفَرْشٌ وَأَمْلَاكٌ مُسَخَّرَةٌ ... وَكُلُّهَا سَاجِدٌ لِلهِ مَوْلَاهُ

سُبْحَانَ مَنْ أَوْجَدَ الأَشْيَاءَ مِنَ عَدَمٍ ... وَأَوْسَعَ الكَوْنَ قَبْلَ الكَوْنِ نَعْمَاهُ

مَا أَقْبَحَ العَبْدَ أَنْ يَنْسَى وَتذْكُرَهُ ... وَأَنْتَ بِاللُّطْفِ والإِحسَانِ تَرْعَاهُ

غُفْرَانَكَ اللهُ مِنْ جَهْلٍ بُلِيتُ بِهِ ... فَمَنْ أَفَادَ وُجُودِي كَيْفَ أَنْسَاهُ!

آياتٌ بيّنات: يُبصِرُها الأعمى، ويَعمَى عنها الجاحِد، كما قال الأحَد الوَاحِد :(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) العنكبوت، وقال عزّ وجَلّ :(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43) العنكبوت.

لأنك الله *** لا خوفٌ *** ولا قلقُ ... ولا غروبٌ *** ولا ليلٌ ***ولا شفقُ

لأنك الله *** قلبي كله أملُ ... لأنك الله *** روحي ملؤها الألقُ

هذي أزاهير حقلي منذ أن عرفت ... جلال وصفك *** روى حسنها العبقُ

لأنك الله *** أنوار الرضا أبدٌ ... النور درب ***وأيام *** ومفترقُ

لمّا عرفتك *** صار الحب أشرعتي ... أمضي وحيدًا ***وعباد الهوى غرقوا

لأنك الله *** دمعي بات نافذتي ... نحو السماوات *** أبكي ***ثم أنطلقُ

لولا جلالك يا الله بعثرني ... في لجّة العمر*** ليل** نبضه رهقُ

لأنك الله*** أبقى مورقًا أبدًا ... كم نبتة خانها في عمرها الورقُ

لأنك الله *** لا صحراء تسحقني ... أمضي *** وفوق ظلالي يمطر الودقُ

لأنك الله *** لن تهتز أوردتي ... لأنك الله *** أشباح الرؤى مزقُ

لأنك الله *** لن أختار لي ملكاً ... أنت العظيم الذي في مُلكه أثقُ

علي بن جابر الفيفي

أيقنتُ باللهِ جلّ في عُلاه..، إذا حلّت بالعبدِ معضلة، وأشكلت عليه مسألة، فتاه عن الصواب، وعزّ عليه الجواب، مرّغ أنفه بالتراب، ونادى: يا اللهُ يا الله، يا معلم إبراهيم علّمني، ويا مُفَهّمَ سليمان فهمني، [اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم]. فإذا بهِ يأتي الفتحُ والتوفيق، وتُحلّ المغاليق، فينكشف السحاب، ويُلهَمُ العبدُ الجواب، من اللهِ ربّ الأربابْ... لا إلهَ إلا الله...!

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ، أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؛ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)

(اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّ لَكَ الحمدُ لا إلَهَ إلَّا أنتَ المنَّانُ بديعُ السَّمواتِ والأرضِ يا ذا الجلالِ والإكرامِ يا حيُّ يا قيُّوم، أن تدخلنا الجنة من غير حساب ولا سابق عذاب، اللهم حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبِنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشِدِين. وصل اللهم وسلم على نبيك محمد وعلى آله وصحبه والتابعين).